هذه الاعمال، بعد شهرين فقط من حادث معلوت. كما رافق هذا الاجراء المستمر، انتقادات صريحة. فمثلاً، شجب محرر صحيفة «ازفستيا»، تولكونوف، في اثناء زيارة عرفات لموسكو، في صيف العام ١٩٧٤، بعبارات واضحة، أعمال خطف الطائرات المدنية، وارسال طرود متفجّرات في البريد، وأعمالاً أخرى، كحجز وقتل الرياضيين الاسرائيليين في الالعاب الاولومبية، في ميونيخ، ونصح بالقيام بعمليات «نضـاليـة صحيحة»، مثل تدمير الاهداف العسكرية الاسرائيلية. غير ان مقالة ظهرت في صحيفة «النيـوتايمز»، عكست رأياً مخالفاً (وذلك بعد اسبوع فقط من انتقاد تولكونوف)، تعاطفت فيه مع المنظمة في موضوع العمليات الخارجية، بينما شجبت تلك العمليات التي تنفّذها الجبهتان، الشعبية والقيادة العامة(١١٧).

ازدواجية التحرّك السوفياتي

لقد شكّل هذا التأرجح، ومدّته، عناصر جديرة بالانتباه في الموقف السوفياتي ازاء المنظمة. وثمّة ما كان يشير، في حينه، الى اعادة نظر في السياسة الاقليمية السوفياتية، من السهل ملاحظة مظاهرها وتتبّع تطوّراتها، لكن، في المقابل، كان من الصعب تقدير أهميتها. هل تعقّد الامر باعادة تقويم هذه السياسة وأهدافها ووسائلها؟ أم كان مجرّد تكيّف مع ظروف صعبة؟

ليس من اليسير، طبعاً، تحديد السبب لهذا التأرجح. لكن من المحتمل ان يكون السوفيات قرروا ان المفـاوضات الجدية للتسوية في الشرق الاوسط قد «أزفت» ساعتها. وهذا يستدعي، بالضرورة، توضيح الموقف الفلسطيني. كما يبدو، أيضاً، ان موسكو أرادت خياراً اضافياً لهذه المفـاوضـات، بسبب الزيادة في وزن، وأهمية، الولايات المتحدة الاميركية في النزاع العربي ـ الاسرائيلي، وبروز العلاقة الاميركية ـ المصرية، اضافة الى انها ربما كانت وسيلة للمطالبة بأن يكون هناك دور لكل من يعنيهم الامر في المفاوضات، والذين هم بمثابة «عملاء» لواشنطن، مثل الاردن واسرائيل(١١٨).

مع ذلك، كان الموقف السوفياتي من الدولة الفلسطينية ما زال غامضاً، وبطيئاً في بروزه. فخطاب وزير الخارجية، غروميكو، في مؤتمر السلام في جنيف، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣، تجاهل هذا الموضوع تماماً؛ اذ لم يستعمل عبارة «الحقوق القومية المشروعة». كما ان غروميكو وضع القضية الفلسطينية، في مجملها، في موقع هامشي بين المواضيع العديدة التي قد تجد طريقها الى الحل، اذا ما سوّيت القضية الرئيسة، وهي الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية، المستمر منذ العام ١٩٦٧. امّا الاستخدام الحقيقي لعبارة «الحقوق القومية المشروعة» من قبل السوفيات، فقد بدأ يظهر، تدريجاً، منذ العام ١٩٧٤. وفي ذلك العام، أيضاً، أُشير، بصورة رسمية تقريباً، الى الدولة الفلسطينية. وقد جاء هذا، في بادىء الامـر، في شكـل خطاب ألقـاه الرئيس بودغـورني في بلغاريا، في الثامن من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤، حدّد فيه الزعيم السوفياتي حق الفلسطينيين في تأسيس دولة خاصة بهم، بشكل أو بآخر. ولقد كرّر بودغورني هذا الامر، باسم البروليتاريا، في برقية بعث بها الى الرئيس الجزائري، بومدين، أعلنها في الرابع من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤، مع ان البرقية لم يكن يقصد منها النشر. وكان مفهوماً ان بودغورني يعبّر فيها عن وجهة نظر شخصية أكثر منها وجهة نظر رسمية مقبولة، في ذلك الحين. وما يجدر ذكره، هنا، انه كان يُعرف عن بودغورني انه كان يظهر ميلاً الى وجهة النظر الاكثر راديكالية في الشرق الاوسط، وخاصة موقفه المتشكك من مؤتمر جنيف للسلام، الذي عبّر عنه في نهاية كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣. وكان هذا واضحاً، أيضاً، وبشكل خاص، في اثناء